الجملة وأسلوب الخطاب القرآني

المدرس المساعد منتهى حسن محمد علي الأنصاري

الجامعة المستنصرية / كلية الصيدلة

المقدمة

القران الكريم ، كتاب العربية الأكبر ، فلولاه لاندثرت اللغة العربية الفصحى ، وأصبحت لغة أثرية. فلغة القران الكريم ، صورة لقوة ومتانة وتماسك اللغة العربية وعالم فكري كبير يتضافر مع العالم اللغوي في إصدار تسريع تشريع سماوي المجازي للبشر ، فكانت خيوط النسج لهذا الإعجاز اللغوي هي اللغة العربية فكان أعلى مستوياتها وارقأها ، ومنها المستوى التركيبي على صعيد الجملة ، فجاء هذا البحث محاولة عن طريق مباحثه الثلاثة للاقتراب من هذا العالم المتفرد .

فكان المبحث الأول : في محاولة تحديد اقتراب الجملة من القرآن الكريم من مصطلحات القول واللغة والكلام والجملة ومدى تطابق واقتراب هذه المفاهيم من المستوى التركيبي للجملة القرآنية .

والمبحث الثاني في بيان بعض خصائص تركيب الجملة الاسمية من تقديم وتأخير ، وحذف وذكر .

والمبحث الثالث : جاء في أسلوب امتداد وتناوب النفس القرآني على تركيب الجملة في مستوياتها وأنواعها المختلفة.

Wholesale and style speech Quranic

Muntaha Hassan Mohammad Ali Al - ansari

The language of the Holy Quran image force and durability and cohesion of Arabic of intellectual the world of intellectual a large with the world of language in the issuance of speed up the hearenly marvelous hu mans were wearing strands of this linguistic miracale is Arabic was the highest level and its venue .

Including structural leveloa the wholesale level came this research is an attempt by the three discussing it to more closer to this unique world .

The first section was to try to identify the approaching sentence in the Koran to say, language , speech, and wholesale and the compatibity of these concepts and approaches of compositional level of inter koranic terms .The second topic in a statement some installation of the provision and delay and delete the

said properties and the third section came in the style of an extension and rotation Quranic self on the sentence structure in kinds .
After the presentation of the koranic phrase and style Quranic discourse in which it appears clear that the koranic wholesale high level authoring and expression are beyond familiar borders in the linguistic construction .
And change the usual relations and this can make her certain limits and can not be called a special term large kaljmlh .
Or the vehicle because it is wider and superior to be called only phrase they are within the limits of Gods speech hearenly expands and respect and rehearse in different formats as required by the context on adrantage of this speech extension and rotation as an extension lead to the extension of the Quranic discourse styles and repeat sentences and dirersity and outthis comes to mind the idea .
Appropriate koranic and delivery of ehe smallest details to the reader or hearer The rotation of the speech has led to the creation of from of the story of an integrated elements or for example …etc .
Which led to the employment of the syntay within the discourse all of which has its impact of koranic the statement of the track the receiver .
There wecaan say that the Koran has a special inter synthesized and complex special deserve to single out a particular term and the order its oen very least koranic term wholesale .

المبحث الأول : الجملة القرآنية بين :

. مصطلح الكلام

. مصطلح القول

. مصطلح اللغة

. مصطلح الجملة

ترددت عند القدماء مصطلحات عديدة ، حاولوا من خلالها تقسيم النشاط اللغوي إلى : (الكلام) ، و(اللغة) و(الجملة) ، ولم تقف جهودهم عند حدود هذا التقسيم ، بل ذهبوا إلى البحث عن إيجاد فوارق أو علاقات بين هذه المصطلحات. وتابعهم في ذلك المحدثون الذين قسموا النشاط اللغوي إلى : (لفظ) ، و(كلمة) و(جملة) ، وجعلوا لكل مصطلح من هذه المصطلحات مفهوماً معنياً [١] ثم بحثوا ، في

[١] . ينظر : الجملة العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ، (مقال) : ١٠٩ .

العلاقات القائمة بين هذه المصطلحات أو في الاختلافات ، والفوارق بينها . لقد حاول القدماء الفصل بين مفهومي : الكلام ، والقول ، وفي مقدمتهم سيبويه ، الذي حاول تحديد مفهوم الكلام من خلال الفصل بينه وبين القول ، قائلاً : ((واعلم أن قلت في كلام العرب ، إنما وقعت على إن يحكي بها ، وإنما يحكى بعد القول ما كان كلاماً لا قولاً)) ([١]) .

فالقول عنده يدل على معنى مفرد ، والكلام يدل على أكثر من معنى مفرد وكأنه يساوي بين القول والكلمة ، ويميزها عن الكلام الذي يقع بعدهما ، ويكون أوسع منهما .

وتابعه في ذلك ابن جني الذي حاول الفصل بين مفهومي الكلام والقول وعلق على إليه سيبويه قائلاً : ((ومن أدل الدليل على الفرق بين الكلام والقول إجماع الناس ، على أن يقولوا : القران كلام الله ، ولا يقال القران قول الله ... ، فعُبر لذلك عنه بالكلام الذي لا يكون إلا اصواتاً تامةً مفيدة ، وعدل به عن القول الذي قد يكون اصواتاً غير مفيدة وآراء معتقدة))([٢]) .

فالكلام عند ابن جني ألفاظ قائمة بذاتها ، مستقلة بمعناها تفيد فائدة تامة ، ولا يكون القول مثله إذ انه قد لا يفيد فائدة تامة ، أو معنى معينا .

أما المحدثون ، فيرى بعضهم إن القول المحكي يمكن إن يطلق على الكلام لان القول مجموعة من الأصوات الإنسانية المفيدة ، وشرط الكلام ، الإفادة التامة ، وبهذا يشترك الكلام والقول في تحقيق شرط الإفادة ، وقد يطلق على الكلمة التي تفيد معنى مفرد ، وعندها يختلف عن الكلام الذي يفيد أكثر من معنى مفرد ([٣])

وإذا ما انتقلنا إلى الآراء التي تبحث في العلاقة بين الكلام واللغة فأول ما يطالعنا في ذلك تعريف ابن جني للغة على ((إنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)) ([٤]) .

ويُعدَ هذا التعريف من التعريفات الدقيقة إلى حد بعيد لأنه يذكر كثيراً من الجوانب المميزة للغة ، وذلك بتأكيده الطبيعة الصوتية للغة ووظيفتها الاجتماعية في التعبير ونقل الفكر ، ثم طريقة استعمالها في المجتمعات واختلافها بين الأقوام .

وذهب ابن خلدون في تعريفه للغة إلى أنها ((عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك العبارة ، فعل اللسان)) ([١]) .

---

[١] . **الكتاب** : ٦٢/١ .

[٢] . الخصائص : ١٩/١ .

[٣] . ينظر : الجملة العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ، (مقال) : ١٠٩ .

[٤]. الخصائص : ٣٤/١ .

ومن هذا يتبين لنا أن مفهوم القدماء للغة يجمع بين عمليتي النطق أي إصدار الأصوات ، والإفهام ، أي إيصال المعنى .

ولم يخرج المحدثون على تعريف ابن جني للغة ، إلا أنهم توسعوا فيه بعض الشيء ، فقادهم هذا التوسع احياناً إلى التفريق بين اللغة والكلام ، إذ ترى إن محاور تعريف اللغة عند المحدثين تُعْنى بـ : الطبيعة الصوتية ، والوظيفة الاجتماعية ، وتنوع البيئة اللغوية ، ففي تفريقهم بين الكلام واللغة ، ذهبوا إلى إن اللغة حقيقة اجتماعية ، والكلام عمل فردي ، أو إن ((الكلام سلوك واللغة معايير لهذا السلوك ، والكلام نشاط ، واللغة قواعد هذا النشاط : والكلام : حركة واللغة نظام هذه الحركة))([٢]) .

وبعبارة أخرى إن اللغة ((جهاز متعدد الأنظمة والوظائف ، يوجد في مجتمع ما ، والكلام هو الكلام الشخصي لهذا الجهاز))([٣]) .

وبهذا لا تعدو اللغة إن تكون نُظماً مجمدة وقواعد ثابتة في كتب النحو والصرف والمعجم ، والكلام نشاط عضوي حركي يأتي موافقاً لحدودها وشروطها ([٤]) .

ويرى بعض المحدثين إن مصدر ((التباين في تعريفات اللغة ناشئ عن منطلقات أصحابها الفكرية)) ([٥]) ، إلا إن المتتبع لهذه التعريفات يجدها . وان تباينت . تعنى بـ الطبيعة الصوتية للغة ، ومادتها الاصوات ، والطبيعة المعجمية ومادتها الألفاظ والطبيعة النحوية ، ومادتها الصيغ والتراكيب ، ومن هذا نستطيع القول أن اللغة بجميع محاورها تشكل وحدات منظمة للكلام ([٦]) .

أما أراء القدماء في العلاقة بين مصطلحي (الكلام) و(الجملة) ، فهي تقودنا إلى متابعة ظهور مصطلح الجملة لأول مرة ، فلو تتبعنا ظهوره عند سيبويه نجد انه لم يعرف الجملة ، ولم ترد في كتابه مصطلحاً ، وإن أول ظهور لمصطلح الجملة كان في كتاب (المقتضب) للمبرد(ت ١٨٥ هـ) في قوله ((إنما الفاعل رفعاً لأنه هو والفعل جملة يحسن السكوت عليها ، وتجب فيها الفائدة للمخاطب)) ([٧])

---

[١] . مقدمة ابن خلدون : ٥٤٦ .

[٢] . اللغة العربية معناها ومبناها : ٣٢ .

[٣] . ن ، وينظر : مناهج البحث في اللغة : ٣٥ .

[٤] . ينظر : دراسات في اللغة : ١٤٧ ، وينظر : الجملة العربية (مقال) : ١٠٩ ،١١٠ .

[٥] . خصائص العربية : ١٦ .

[٦] . ينظر : علم اللغة العربية : محمود فهمي حجازي : ١٠ ، ومحاضرات في اللهجات :٩ ، وتأملات في اللغة والنحو :٤٤ .

[٧] . المقتضب : ٨/١ .

. وبذلك: إن مفهوم الجملة . عند المبرد . تركيب لغوي يقوم على ركنين ، الإسناد بين الفعل والفاعل ، أو الاسم والخبر ويفيد فائدة تامة ،يحسن السكوت عليهما .

وهذا المفهوم للجملة يحدد العلاقة بينها وبين الكلام عند القدماء ، فقد ذهب ابن جني إلى إن الجملة مرادفة للكلام ، وذلك بقوله عن الكلام : ((إنما هو في لغة العرب عبارة عن الألفاظ القائمة برؤوسها ، المستغنية عن غيرها ، وهي التي يسميها أهل هذه الصناعة الجمل على اختلاف تركيبها وثبت أن القول عندها أوسع من الكلام ، تصرفاً ، وانه قد يقع على الجزء الواحد ، وعلى الجملة)) ([١])

ويفهم من هذا إن الكلام عند ابن جني(ت٣٩٢) ، قد يكون جملة واحدة ، أو قد يكون عدداً كبيراً من الجمل ، لان كليهما (الكلام ، والجملة) متحقق فيهما شرط الفائدة التامة التي يحسن السكوت عليها.

وتابع ابن جني(ت في رأيه هذا ممن جاء بعده الزمخشري ([٢])(ت ٥٣٨ هـ) وابن يعيش (ت٦٤٣هـ) ([٣]) . إذ عدَ الاثنان الجملة مرادفة للكلام في تحقيق الفائدة منهما.

وقد ذهب فريق آخر من القدماء إلى التفريق بين مصطلحي (الكلام والجملة) وذلك استناداً إلى تحقق شرط الإفادة وعدمها ، أو تحقق شرط الكثرة أو القلة فيهما ، فيرى ابن هشام إن الكلام غير الجملة ((إذ شرط الإفادة بخلافها ، ولهذا تسمعهم يقولون : جملة شرط ، جملة الجواب ، جملة الصلة ، وكل ذلك ليس مفيداً وليس بكلام))([٤]) .

إذا الفرق بين الكلام والجملة عند ابن هشام يكمن في إن الكلام شرطه الإفادة دائماً ، والجملة قد تكون غير مفيدة أحيانا ، فالفرق بينهما عنده في تحقق شرط الإفادة وعدمها

وقد يكون الفرق بينهما في الكثرة والقلة وليس في تحقيق الإفادة وعدمها وذلك في كون الكلام ، اصغر صورة تركيبية مفيدة حاصلة بالإسناد والجملة عندهم تآلف تلك الصورة التركيبية . واستناداً إلى هذا المفهوم تكون الجملة . في رأيهم . أكثر شمولاً واعمً من الكلام ([٥]) . فأن الخلط يحصل بين مفهومي الكلمة التي تدل على معنى مفرد والكلام الذي يدل على أكثر من معنى مفرد.

ومن هذا نستطيع القول بوساطة الفهم السليم للكلام والجملة إنهما مترادفان ومتفقان في كونهما تركيب لغوي ، أو أجزاء ، أو وحدات ، أو صيغ لغوية منظمة ، تفيد فائدة تامة يحسن السكوت عليها ، والى

---

[١] . الخصائص : ٣٣/١ .

[٢] . ينظر : المفصل في علم العربية : ٦ .

[٣] . ينظر : شرح المفصل : ١ /١٨ .

[٤] . مغني اللبيب : ٤٩ .

[٥] . ينظر : الأشباه والنظائر : ١٦١/٢ ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع :٣٧٤/٢ .

ذلك ذهب أكثر المحدثين([1]) والسؤال الذي يطرح نفسه ؟ أين نضع الجملة القرآنية بين هذه المصطلحات ؟ وللإجابة عليه يجب إن نقف وقفة قصيرة مع مزايا وأساليب الجملة في القرآن الكريم ، إذ نلاحظ إن كلام الله عز وجل يختلف عن سائر كلام البشر في جملة أمور منها : نحت العبارة ، وهندستها ، وتركيبها ، وزخرفتها ،وتوفير.) . ([2])الجملة والرونق فيه

ويرى الدكتور علي ناصر غالب : ان امتداد الجملة عبر مساحات قولية طويلة يكسبها بعداً دلاليا آخر ، لا يمكن ان يتحقق الا عبر هذا الامتداد ، وهذه الميزة تنفرد فيها الجملة القرآنية دون غيرها من الجمل .

فجملة القرآن الكريم ، ليست جملة عادية ، ولا حتى علاقاتها إذ تتميز في طريقة صياغتها ، وأحوال بنائها فتأخذ صيغة خطابية مباشرة مع العنف والتقريع في السور المكية ، قصيرة ويظهر اثر هذه الصيغة في كون الجمل من السور التركيب ، محبوكة ، مشدودة السبك ، مرصوصة اللفظ ، وذلك لأنها تتناول أمرا قاطعاً ، لا مجال للإطالة والجدل فيه ، وهو النهي الحازم عن الشرك بالله ، واستفهام مستنكر وإعادة للقول ، والفكرة تنطوي على ملاحقة لا تدع مجالاً للافلات منها ، ولا مناص للسامع من الاستجابة والرضوخ إلى الواقع الصريح الذي تريده السورة ، ثم الآية ، ثم الجملة في تقديره وتحديده.

وتظهر في نهاية كل فقرة أو جملة في القرآن الكريم نهايات ووقفات تتلائم مع صياغة الآية في قوتها وشدتها ، وهذه النهايات تزيد من قوة سبك الآية . وتكسبها وقعاً ، وجرساً نغمياً خاصاً في الأسماع مما يزيد من أثرها في نفوس السامعين.

وتأخذ الجملة صيغة الإرسال الهادئ المطمئن والمؤثر في آن معاً . وذلك في الآيات والسور المدنية ، ويظهر اثر هذه الصيغة في تطويل السور ثم الآيات ، ثم الجمل ، لان الموقف يستدعي هنا الجدل والإيضاح وبهذا نستطيع القول إن الجملة في القرآن الكريم تطول وتقصر تبعاً لحاجة الفكرة القرآنية([3]) .

وتعتمد الجملة في القران الكريم على الخيال ، وتلجأ إلى الإيحاء والتعبير بالصورة لأنها لا تهدف إلى مجرد الإيصال ، والأخبار وإنما تهدف ايضاً إلى التأثير في السامع أو القارئ ، مثال ذلك تصوير الفزع

---

[1] . ينظر : من أسرار العربية : ٢٦٠ ، الدلالات الزمنية :٢٩ ، من النحو العربي قواعد وتطبيق : ٨٣ .

[2] . ينظر : النثر الفني في القرن الرابع : ٤٤ .٤٩ ، تطور الأساليب النثرية : ٤٧ . ٦١ .

[3] . ينظر : الجملة الطويلة في القران الكريم (بحث) : ٦ . ويرى فيه الدكتور علي ناصر غالب إن امتداد الجملة عبر مساحات قولية طويلة يكسبها بعداً دلالياً آخر ، لا يمكن أن يتحقق الا عِبر هذا الامتداد ، وهذه المِيزة تنفرد فيها الجملة القرآنية دون غيرها من الجمل .

والخوف والرهبة في قوله تعالى : ((يوم ترجف الأرض والجبال ، وكانت الجبال كثيباً مهيلاً)) ([١]) وتصويره عزوجل للنور الإلهي في قوله تعالى : ((الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة ،الزجاجة كأنها كوكب دري يُوقد من شجرة مباركة ، زيتونة ، لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس ، والله بكل شيء عليم)) ([٢]) .

والتكرار صفة من صفات الجملة القرآنية في التعبير عن مشاهد يوم القيامة في قوله تعالى : ((كلا إذا دكت الأرض دكاً ، وجاء ربك والملك صفاً صفاً ، جيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنَى له الذكرى))([٣]) .

ومن المزايا التي يجب أن نوجه إليها البحث في القران الكريم هي نظام الجملة القرآنية ، وطريقة بنائها ، فهي طريقة تخالف الطرق المتعارف عليها في نظام الكلام العادي ، أو الكلام الفني شعراً ونثراً ويمكن إيجاز هذه المزايا بالاتي :

١. التقديم والتأخير : وهو من الطرق الفنية في بناء الجملة وقد وجد في الكلام الفني شعراً ونثراً إلا انه اخذ شكلاً آخر في القران الكريم من ذلك قوله تعالى : ((وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً)) ([٤]) . إذ تقدم الجار والمجرور في قوله (للكافرين) مراعاة للإيقاع الموسيقي في الجملة حفاظاً على حلاوة التنغيم القائم على نهاية الفاصلة ، إذ يسبق هذا القول قوله تعالى : ((وليتبروا ماعلوا تتبيرا)) ([٥])، ولتخصيص الدلالة ، يجعل جهنم مكاناً للكافرين دون غيرهم .

٢. الزيادة والحذف : كقوله تعالى : ((والليل إذا يسر)) ([٦]) . فحذفت الياء مراعاة للفاصلة القرآنية ، إذ سبقها قوله تعالى : ((والفجر . وليالٍ عشر)) ([٧]) .

٣. تغيير الصيغة : كقوله تعالى : ((فلا يخرجكما من الجنة فتشقى)) ([١]) . فقد تحول الإسناد في الجملة من المثنى إلى المفرد.

---

[١] . سورة الزمر : الآية ١٤ .

[٢] . سورة النور : الآية ٣٥ .

[٣] . سورة الفجر : الآيات / ٢١ ،٢٢، ٢٣ .

[٤] . سورة الإسراء : الآية ٨ .

[٥] . سورة الإسراء : الآية ٧ .

[٦] . سورة الفجر : الآية ٤ .

[٧] . سورة الفجر : الآية ٢ .

وقوله : ((فاتيا فرعون ، فقولا إنَا رسول رب العالمين)) ([٢]) . إذ تحولت الصيغة بالإخبار عن الجمع في صيغة المفرد . وقوله تعالى : ((يعرف المجر مون بسيماهم ، فيؤخذ بالنواصي والأقدام)) ([٣]) . تحولت الصيغة بعطف فعل المفرد على فعل الجمع وهكذا.

وفي التصوير القرآني ، أساليب مميزة للجملة ، تجعل منها ما يقوم مقام المثل وذلك لقصر الجملة ، وجزالة ألفاظها ، وبساطة تركيبها ، وعمق معانيها ، كقوله تعالى : ((أليس الصبح بقريب)) ([٤]) . وقوله : ((وأما الزبد فيذهب جفاء)) ([٥]) ،وغيرها من الآيات .

مما تقدم نلاحظ أن الجملة في القران الكريم ، رفيعة المستوى في التأليف والتعبير ، وهي بهذا تتعدى الحدود المألوفة في البناء اللغوي ، وتتغير فيها العلاقات المعهودة بين الألفاظ ، وعليه نستطيع القول : إن القرآن الكريم أصطنع له نحواً خاصاً ، ومصطلحاً خاصاً ، وهو مصطلح الجملة القرآنية .

المبحث الثاني : الجملة القرآنية بين التأصيل والتأويل وفيه ثلاثة مطالب :

. بين الاسمية والفعلية

. بين التقديم والتأخير

. بين الحذف والذِكْرِ

تنقسم الجملة في العربية على اسمية وفعلية ، ويمثل هذا التقسيم المحور الرئيس الذي دارت عليه اغلب الدراسات النحوية قديماً وحديثاً ، وإن أضافوا إليها أقساما آخر كالجملة الشرطية ، والجملة الظرفية ([٦]) .

وتقسيمهم هذا لا غبار عليه ، ويتفق إلى حد بعيد ، مع واقع الجملة العربية التي لا تعدوا أن تكون اسمية أو فعلية ، ولكن النحاة اختلفوا في الأساس الذي يستند إليه هذا التقسيم فذهب بعضهم إلى تقسيم الجملة على : اسمية وفعلية ، بأعتبارالاسناد إلى اللفظ والمعنى ، المتجدد عن طبيعة الجملة ،

---

[١] . سورة طه : الآية ١١٧ .

[٢] . سورة الشعراء : الآية ١٦ .

[٣] . سورة الرحمن : الآية ٤١ .

[٤] . سورة هود : الآية ٨١ .

[٥] . سورة الرعد : الآية ١٧ .

[٦] . ينظر : الكافية : ١٩/١ ، مغني اللبيب : ٣٧٤/٢ ، في النحو العربي نقد وتوجيه : ٣٩ .

فالاسمية في رأيهم : ما كان المسند إليه فيها اسماً مع إفادة الدوام والثبوت ، والفعلية ما كان المسند فيها فعلاً مع إفادة التجدد ، أو اتصاف المسند بالمسند إليه أنصافا متجدداً . ([1])

أما المحدثون فلم يخرجوا عن حدود ما قاله القدماء في هذه المسألة فمنهم من ذهب إلى القول بأن الجملة الفعلية ، ما كان المسند فيها فعلاً ، والجملة الاسمية ما كان المسند فيها اسماً ، وهم بذلك يتخذون من الإسناد أساسا للتقسيم دون اعتبار موقع المسند ، فعلاً كان أم اسماً من الجملة ([2]) .

وهذا كلام موفق إلى حد ما ، فلو أن النحاة قد سلكوا هذا المسلك في النظر إلى طبيعة الجملة العربية ، لاستغنوا في كثير من الأحيان عن تلك التقديرات والتأويلات الكثيرة التي امتلأت بها مؤلفاتهم بسبب اعتمادهم الجانب المعياري ، في وضع القواعد النحوية ومحاولة تسيير النصوص التي لا تتفق مع تلك القواعد في مسلك التقدير والتأويل ، ولو أنهم اعتمدوا الجانب الدلالي في تقسيم الجملة ، لما قالوا : إن (قام زيد) جملة فعلية فاعلها زيد ، وان (زيد قام) جملة اسمية يكون فيها زيد مبتدأ وفاعل الفعل (قام) ضمير مستتر تقديره (هو) يعود على (زيد) أو يدل عليه الاسم الظاهر.

ولعل التساؤل ؟ هو ما الفرق بين الجملتين ؟ فمن قام بالفعل في كلتا الجملتين هو زيد ، وهذا يتفق مع تعريفهم للفاعل ، وكل ما جرى في الجملة هو تقديم الفاعل فقط ، وهو المسند إليه للاهتمام به ، علماً إن الكوفيين قد أجازوا تقديم الفاعل ، بخلاف البصريين الذين لم يجوزوا ذلك . فجرهم هذا الأمر إلى الاصطدام بكثير من النصوص التي تقدم فيها الفاعل على الفعل فتحولت لديهم الجملة من إطار الفعلية إلى إطار الاسمية ، لان منهجهم يقتضي منع تقدم الفاعل منه ما قاله ، ابن الانباري إن ((الفاعل ينزل بمنزلة الجزء من الكلمة وهي الفعل))([3]) .

وما قاله ابن يعيش : ((إنما وجب تقديم خبر الفاعل (الفعل) لأمر وراء كونه خبراً وهو كونه عاملاً ، ورتبة العامل أن يكون قبل المعمول ، وكونه عاملاً ، فيه سبب اوجب تقديمه)) ([4])

ومما لا يخفى إن تعليلاتهم تأطرت بإطار فلسفي يقوم على نظرية العامل التي اعتمدوها في دراساتهم ، مما ابعد الجملة أي الدرس النحوي إلى حد ما عن طبيعة التركيب اللغوي في الجملة العربية ، لان المنهج العقلي الفلسفي ، لا يصلح بأي وجه من الوجوه لتفسير الظواهر اللغوية

---

[1] ينظر : دلائل الإعجاز : ١٧٣ ، ١٧٤ ، تلخيص المفتاح : ٤٧ .

[2] . ينظر : في النحو العربي : نقد وتوجيه : ٣٩ ،٤٢، ٤١.

[3] . أسرار العربية : ٣٥ ،٣٦ .

[4] . شرح المفصل : ٧٤/١ .

وقد التزم النحاة بمنهجهم هذا عند تناولهم النص القرآني الذي شاع في عباراته ، تقديم الفاعل ، على الفعل معتمدين قواعدهم كأساس لا حياد عنه فصاروا ، يؤولون ويقدرون مفردات تؤدي عند ذكرها إلى أبعاد النص القرآني عن تلك الجمالية التي لعب فيها التركيب اللغوي ، دوراً كبيراً ، ففي قوله تعالى : ((وإذا الكواكب انتثرت)) ، قدروا فعلاً للفاعل المتقدم فقالوا : إن التقدير إذا انتثرت الكواكب انتثرت ، لأنهم اشترطوا في جملة الشرط ذكر طرفيها ، المسند والمسند إليه ، وقد منعوا تقديم الفاعل ، فلابد لهم أن يقدروا فعلاً ، لتتم أركان جملة الشرط ، ولا يخفى ما في هذا التقدير من خروج عن المعنى الإيحائي ، الذي تميزت به الآية الكريمة ، فقد يبتعد هذا التقدير بالدلالة الأصلية للجملة ، أو الآية الكريمة ، فيحدث فتور في جو الرهبة والخوف الذي تصوره الآية في وصفها لمشاهد يوم القيامة وهولها إذ إن السياق القرآني حافظ على صورة الخوف والرعب وذلك بالترقب والانتظار الذي يحدثه أسلوب الشرط في هذه الآيات أو الجمل المتتابعة فما دامت جملة الشرط معلقة ليبقى الذهن بانتظار الجواب في حالة من الشد والرهبة والترقب ، أما إذا قُدر المعنى على رأي من منع تقديم الفاعل فكان مفاده (إذا انتثرت الكواكب انتثرت) ، فالدلالة تختص بحدوث الانتشار ، أكثر مما تختص بتصور الهول والرعب والترقب لما سيحدث في ذلك اليوم الرهيب أو الكيفية التي سيحدث فيها هذا الانتثار ، وهنا يكمن سر الأسلوب الشرطي في القران الكريم فهو وسيلة للتوصيل والتأثير في آنٍ معاً ، وعليه نستطيع القول أن الأسس التي وضعها النحاة في تقسيم الجملة على اسمية ، وفعلية انه يتفق الى حد بعيد مع واقع الجملة العربية التي لا تعدوا ان تكون اسمية او فعلية ، ولا سيما في أسلوب الشرط كما تقدم .

إن تأرجح مفهوم الجملة بين الاسمية والفعلية ، وذلك بوقوف النحاة أمام جملة الشرط في قوله تعالى : ((إذا السماء انفطرت ، وإذا الكواكب انتثرت)) ([1])، إذ وجدوا أنها تبدأ باسم ، وهم اشترطوا أن تبدأ جملة الشرط بجملة فعلية ، مما اضطرهم إلى التأويل ومن ذلك قوله تعالى : ((سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة))([2]) ، إذ تقدم لفظ الجلالة ، وهو الفاعل على الفعل (الله ينشئ) وهي بذلك جملة فعلية على رأي من أجاز التقديم وجملة اسمية على رأي من لا يجَوز التقديم .

والناظر في النص القرآني ، يجد شواهد عديدة يتقدم فيها الفاعل على الفعل ولا حاجة للقارئ إلى أن يؤول ليفهم النص أو ليحول الجملة عن طبيعتها تماشياً مع القاعدة فهو راق ، يعلو ويتسامى عن

[1] سورة الانفطار : الآيتان ٢،٣ .

[2] . سورة العنكبوت : الآية ٢٠ .

أن تحكمه قاعدة نحوية من صنع البشر ، ومنه قوله تعالى : ((الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر)) ([1]) فإذا عرضت هذه الآية على القواعد النحوية التي وضعها النحاة ، وجدناها تتأرجح بين الاسمية والفعلية لا لشيء إلا لتمسكهم بفكرة منع تقدم الفاعل ، والواقع الذي لا يكاد يختلف فيه اثنان أن الفاعل هو الله عزوجل في هذه الآية وما شابهها أو ما جاء على نمطها ، وهذا يدل على أن تقدم لفظ الجلالة جاء للاهتمام والتخصيص

وقد وضع النحاة ترتيباً عاماً للجملة الفعلية عدوه قاعدة لا ينبغي الحيد عنها ، فعناصرها . في رأيهم . تتخذ الترتيب الآتي : (فعل + فاعل + مفعول به + متعلقات الجملة) .

وهناك ترتيباً آخر للجملة الاسمية يتمثل بـ (المبتدأ + الخبر + متعلقات الجملة) . ألا إن طبيعة الجملة العربية ، تقدم لنا أنماطا متعددة تتقدم فيها عناصرها وتتأخر ، الأمر الذي دفعهم إلى وضع استدراكات على تلك القواعد تحت التسميات التي أوجدها النحاة مثل (التقديم وجوباً أو جوازاً أو ممتنعاً) فقد الزموا أنفسهم بمعايير ثابتة بعد استقرائهم اللغة العليا وفي مقدمتها القران الكريم ، ثم كلام العرب الفني شعراً ونثرا .

ومن الجدير بالملاحظة أن النحاة استشهدوا بكلام العرب ولا سيما الشعر العربي أكثر من استشهادهم بالقران الكريم ، وان عدوه إنموذجاً للفصاحة والبيان ([2]) .

ثم أنهم اعتمدوا الشائع من التراكيب التي جعلوها قياساً وما جاء بها مخالفاً ، حاولوا بطريقة أو بأخرى إرجاعه إليها مما اضطرهم ذلك إلى التأويل والتقدير.

هذه الظاهرة بادية للعيان ، بعد أن اطلعوا على الدراسات المنطقية التي تفترض أن يكون لكل أثرٍ مؤثر فكانت ظاهرة العامل التي تقتضي أن يكون لكل معمول عامل ، إن ظهر كان بها وان خفي قُدر وأول.

ولعل الأمر الذي يستحق النظر، هو تمسكهم بهذه المعايير في دراستهم للقران الكريم ، فقد اعتمدوها مصرين على عدم الحياد عنها وان كان النص الذي بين أيديهم يمثل كلام الله الذي انزل بلسان عربي مبين ، فضلاً عن كونه يمثل ارقي مستويات التعبير الذي ينبغي أن يتخذ إنموذجاً لوضع القواعد ولو أنهم ساروا في هذا الطريق ما أعوزهم الأمر إلى تلك الاختلافات والتأويلات الكثيرة التي مُلئت بها مؤلفاتهم .

ومن بين تلك المواضيع التي عُرضت أمامهم في تناولهم النص القرآني أو عرض شواهده عليهم ، هو موضوع التقديم والتأخير في عناصر الجملة التي تأتي مخالفة لما وضعوه لها من ترتيب ، ومن ذلك

---

[1] . سورة الرعد : الآية ٢٦ .

[2] . ينظر : تاج العروس :٤٣٨، ٤٣٩ .

تقديم الفاعل على الفعل الذي أجازه الكوفيون ، ومنعه البصريون مما أعوزهم إلى تقدير فعل الفاعل المتقدم وجعل الضمير المستتر في الفعل المذكور فاعلاً ، وكلاهما يدلان على الشيء أو الشخص نفسه ، بل أدى بهم إلى أن تتحول الجملة الفعلية إلى اسمية بمجرد التقديم .

لقد كان البلاغيون أكثر موضوعية من النحويين واقرب إلى روح النص فكانت لهم جهود مميزة في دراسة بناء الجملة ، فحاولوا أن يعزوا تقديم ما حقه التأخير . عند النحاة . أو العكس إلى معانٍ معينة كانت على درجة كبيرة من الثقة ، أوجدت هذه الدراسات فيما أسموه بـ (علم المعاني) ([1]) .

فكل تركيب لغوي . في نظرهم . له طرفة بلاغية ودقيقة معنوية ومنها التقديم والتأخير ، الذي يعطي فيضاً من المدلولات أكثر مما يعطيه إيراد التركيب على وفق الترتيب المتعارف عليه من قبل النحاة.

ففي قوله تعالى : ((بل الله فاعبد))([2]) ، تقدم المفعول على الفعل وذلك لتخصيص العبادة لله وحده لا شريك له ، ومثل هذا التقديم لا يحتاج إلى مزيد من التأويل أو التقدير كالذي تجده عند الزمخشري ومفاده ((إن كنت عاقلاً ، فأعبد الله)) ([3]) ، أو الأصل فيما زعموا ((بل مهما يكن من شيء فاعبد الله)) ([4]) ، ألا يذهب هذا التأويل بالنص إلى اقتصار معناه على العقلاء في العبارة ؟ أو نسب العبادة إلى ظرف معين دون سواه ؟ والمعنى الأصلي للنص القرآني من دون هذا التأويل يفيد معنى العبادة المطلقة لكل البشر وفي كل الظروف ، وعليه فلا حاجة بنا إلى مثل هذا التأويل والتقدير ، لان تقدم المفعول به على الفعل في الآية الكريمة ، أفاد صفة العبادة المطلقة لله وحده ، وهناك بعد بين دلالة السياق في هذا التقديم وبين ما ذهب إليه الزمخشري من تأويل.

ومن أمثلته ايضاً تقديم الخبر على المبتدأ في قوله تعالى : ((والتفت الساق بالساق، إلى ربك يومئذ المساق))([5]) إذ تقدم الجار والمجرور (إلى ربك) ، على إنه خبر مقدم على الاسم وهو (المساق) وذلك مراعاة لنهاية الفاصلة القرآنية ، وحفاظاً على حلاوة التنغيم الموسيقي فيها، ثم لتخصيص النظر إلى الرب في الآية الأولى ، وتخصيص المساق إليه . عزوجل . في الآية الثانية .

وقد اعتمد النحاة في استنباط مقاييسهم وأحكامهم على المسموع من كلام العرب ، وقد تبين لهم أن هذه المقاييس لا تنطبق على جميع ما تكلم به العرب ، إذ عرض لهم شيء كثير لا يتفق مع المقاييس

---

[1] . مفتاح العلوم : ٧٧، ١٥٧ .

[2] . سورة الزمر : الآية ٦٦ .

[3] . مغني الليبي : ١٨٠ .

[4] . الكشاف :١/٣٥٥ .

[5] . سورة القيامة :٢٩، ٣٠ .

والقواعد التي وضعوها ، لذا عمدوا إلى الافتراض والتأويل والتقدير في تفسير النصوص اللغوية ، التي لا تتفق مع قواعدهم ، فالتأويل : ((يقلب الحقائق ويباين مناهج التفكير العلمي السليم ، لان العناية بالأمثلة فيه ليس لدراستها وبيان خواصها ، والوصول إلى القاعدة عن طريقها بل انقلبت إلى نوع من التمرين ، ما أشكل على القاعدة منها ، فبدل أن يكون الأمر ملاحظة المادة اللغوية ، لبيان حقائقها ، فأصبح فرضاً للقاعدة على المادة ، أو بعبارة أوضح ، أصبح فرضاً للاقيسة على الأمثلة))([1]) .

ومن أمثلة هذا التأويل ما يقال في الحذف والذكر في الجملة التي سار فيها النحاة ، على اعتبار أنها مسألة مهمة على خطى سيرهم في مسألة التقديم والتأخير في الجملة ، ولكنهم اصطدموا بالقرآن الكريم الذي قلب موازينهم ، وأبطل كثيراً من تأويلاتهم ، فلو صنعوا النحو على ما جاء في كتاب الله العزيز ، من تراكيب وأنماط لغوية ، لتخلص الدارسون من كثير من طرائقهم الملتوية ، على ما سيتضح من بعض الأمثلة القرآنية الآتية : ففي قوله تعالى : ((انتهوا خيراً لكم)) ([2]) . قالوا في نصبه (خيراً) : المراد ، إنتهِ وادخل فيما هو خير لك ([3]) . فهل يحتاج قوله تعالى إلى مثل هذا التأويل ليفهم المراد منه ، أم هو حشو لا فائدة منه ، أُضيف إلى المعنى الأصلي لإيجاد مبرر لنصب (خيرا) .

وفي قوله تعالى : ((من عمل صالحاً فلنفسه ، ومن أساء فعليها)) ([4]) ، فالمبتدأ محذوف تقديره (عمله لنفسه) ([5]) . في رأيهم . ولا داعي لهذا التأويل الذي يذهب بالنص مذاهب بعيدة عن المعنى الاصالي ، فإذا أخذنا المعنى على سبيل التقدير ، (فكلمه لنفسه) ، تخصيص المعنى في جانب معين من جوانب العمل ، في حين ان المعنى في الآية الكريمة أكثر شمولاً واتساعاً . وفي قوله تعالى : ((كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى)) ([6]) هناك قرينة لفظية هي القصاص ، تدل على أن الحر مقتول بالحر ،والعبد مقتول بالعبد ، والأنثى مقتولة بالأنثى ، أي بعبارة أخرى تدل على محذوف في الجملة تقديره (مقتول) ، إن هذا التأويل والتقدير غير ملجوء إليه بهذا القصد ، وذلك لوجود القرينة اللفظية التي تمنح الصورة القرآنية بُعداً دلالياً ، دون هذا التكلف في التأويل ويشيع في الجملة القرآنية أن يأتي الفعل وحده ويحذف الفاعل ، كما في قوله تعالى: ((ثم كان

---

[1] . أصول النحو العربي : محمد عبده : ٢١٣ .

[2] . سورة النساء : الآية ١٧١ .

[3] . ينظر : الكتاب : ١٤٣/١ ، وهو رأي الخليل .

[4] . سورة فصلت : الآية ٤٦ .

[5] . ينظر : نحو القران : ١٨ ،١٩ ،٢٠ .

[6] . سورة البقرة : الآية ١٧٨ .

علقة فخلق فسوى ، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى)) ([1]) ، فالأفعال : (خلق . سوى) حُذف فاعلها وهو لفظ الجلالة مراعاة للفاصلة ، وحفاظاً على حلاوة التنغيم الذي يقوم عليه الإيقاع الموسيقي للآيات المباركة ، ثم حُذف لصرف انتباه المتلقي إلى أن الخالق واحد هو الله سبحانه وتعالى ، والتأكيد على هذه الدلالة أوحى به الخطاب المباشر بالأفعال المرتبطة بالفاء التي تفيد الترتيب .

أ . أسلوب امتداد النفس الخطابي في القرآن الكريم وأثره على الجملة :

لاحظ المتتبعون للغات السامية اختلافاً كبيراً في بناء الجملة بين هذه اللغات ، في عصور تطورها المختلفة ، فاللغة السامية الأولى ، مثلاً : لم تجيء ذات جملٍ طويلة ، بل كانت تسودها ظاهرة التوازي ، أي أن الجمل كانت قصيرة ، وترتبط الجملة بالأخرى عن طريق الواو ، وقد وجدت هذه الظاهرة في اللغة العبرية القديمة ، واللغة العربية في بعض نصوصها ، وبمضي الوقت ، أخذت هذه اللغات شيئا فشيئا ، جملا طويلة ومعقدة ، فالجملة العربية ، تعقدت مع تطور الفكر ورقيه تعقيداً كبيراً ، أو لنقل ارتقت رقياً كبيراً ، إذ إن صيغ الاستثناء والقصر في العربية ، تختلف عما كانت عليه في اللغات السامية التي دونت قبل العربية .

إذا ، فالكلام العادي ، يتكون من وحدات صغيرة ، متراصة ، الواحدة بجانب الأخرى وهذا شأن اللغات التي لم تدخل بعد إلى مرحلة التعبير عن الفكر والمعقد والمتنوع . وتعقد أنماط الجملة وتنوعها على مستوى التأليف ، يعد سمة عامة ، تقابل سمة التوازي على مستوى اللغة المنطوقة([2]) .

وإذا رحنا نتفحص تركيب الجملة في القرآن الكريم ، نجدها قد خطت خطوات واسعة في مجال بناء الجملة ، حتى نجدها وقد اتخذت أسلوبا خاصاً أبت تراكيبه أن تصب في تلك القوالب ، التي وضعها النحاة متوخين الوصول إلى قواعد مطرودة ، ينطبق عليها معظم الكلام العربي . نثره وشعره . في الوقت الذي كانوا فيه ينشدون الحفاظ على اللغة العربية ، وإيجاد أنظمة محددة يمكن تعلمها أو القياس عليها.

ولعل أهم ظاهرة هي امتداد النفس الخطابي ، الذي تجاوزت فيه الجملة حدودها المعهودة والذي أجبر النحاة على وضع مصطلحات عديدة للجملة منها المركبة والكبرى وما إلى ذلك .

أسلوب امتداد النفس الخطابي في القران الكريم وأثره على الجملة في :

أ . ١حذف أسلوب الشرط :

إن أسلوب الشرط في صورته البسيطة التي تعارف عليه النحاة يتكون من : (أداة الشرط +جملة شرط+جواب شرط) ولكن النحاة اضطربوا في تعريف جملة الشرط ، وفي تحديد المصطلح الذي تنطوي

[1] . سورة القيامة : الآيات ٣٨ ،٣٩، ٤٠ .

[2] . ينظر علم اللغة العربية : حجازي : ١٤٧ .

عليه ([1]) ، وكان مرد هذا الاضطراب يرجع إلى مغايرة المستوى التركيبي في الجملة القرآنية ، مقابل ما وضعوه من مقررات للجملة العربية . ففي قوله تعالى : ((إذا الشمس كورت ، وإذا النجوم انكدرت وإذا الجبال سيرت ، وإذا العشار عطلت . وإذا الوحوش حشرت وإذا البحار سجرت . وإذا النفوس زوجت وإذا المؤودة سئلت بأي ذنب قتلت . وإذا الصحف نشرت وإذا السماء كشطت . وإذا الجحيم سُعرت ، وإذا الجنة أزلفت علمت نفس ما أحضرت)) ([2]) .

امتدت جملة الشرط بين أداة الشرط وجواب الشرط إلى ثلاث عشرة آية ، ولهذا النمط القرآني المألوف ، معايير في الشرط دلالته الخاصة . إذ أن هذه الآيات المباركات ، عبارة عن تهديد وترهيب للمشركين اتخذت من الشرط وسيلة لإيصال هذه الصورة الهائلة في مجال التهديد والتقريع والترهيب ، فضلاً عن اثر هذا الامتداد على المستوى الإيقاعي للآيات المباركة والذي شارك في شدة وقع المعنى وشدة تأثيره على النفس . وفي قوله تعالى : ((ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتانا واثما مبينا)) ([3]) . فقد تحقق الشرط دون الجواب في مجموع الجملتين ، لا في كل واحدة منهما . من يكسب خطيئة أو اثما ، ثم يرم به بريئا إذ لم يتحقق الشرط في جملة واحدة دون الأخرى مع الجواب ، وإنما تم المعنى بهما معاً .

٢. أسلوب الاستفهام:

في أسلوب الاستفهام نرى أن الامتداد في الخطاب ألقراني أسلوبيا تحدث على المستوى الدلالي ، والمستوى التركيبي ففي قوله تعالى : ((أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت . والى الجبال كيف نصبت . والى الأرض كيف سطحت)) ([4]) . في أسلوب الاستفهام هنا وجه الخطاب ألقراني إلى قوم أشركوا بالله ، وجعلوا له أندادا ، فأراد القران إثبات حقيقة الوحدانية بأدلة قاطعة ، لا مجال للشك فيها ، فكان الامتداد ، وقد يتبادر الى الذهن أن هناك انقطاع في المعنى المراد من الآيات ، فليس ثمة مناسبة بين (الإبل والسماء وبينهما وبين الجبال والأرض) بحسب الظاهر، ولكن ثمة جامع ذهني خفي يجمع بين دلالة هذه الآيات وهو قدرة الخالق وتفرده بصفة الخلق ، ويظهر مركز الخطاب موحداً في المستوى التركيبي إذ حافظ الاستفهام على مركزه الأصلي في قوله

---

[1] . ينظر الأصول : ٢٤٥/٢ .

[2] . سورة التكوير : الايات ١٤/١ .

[3] سورة النساء : الآية ١١٢ ..

[4] . سورة الغاشية : الآيات/١٧ . ٢٠

تعالى : ((أفلا ينظرون)) ثم جاء التكرار التابع لهذه الجملة الاستفهامية مع تكرار عناصر التركيب في كل جملة وهي : (الجار والمجرور ، وأداة الحال (كيف) والفعل المبني للمجهول بتعدد صوره) . والرابط بين هذه الجمل المتعددة (الواو) التي تكررت بدورها قبل كل جملة ، ومما لا يخفى ما لهذا التركيب من اثر على الإيقاع القرآني ، الذي تآزر مع الخطاب في إثبات قدرة الخالق وتحدي المخلوق وأثره على تحديد الفاصلة القرآنية ، في هذه الآيات وهي (التاء الساكنة) التي جاءت ملائمة لطبيعة الخطاب المباشر الذي لا يحتمل الجدل أو المناقشة

٣. أسلوب القسم :

في هذا الأسلوب يمتد الخطاب إلى أن يحدث شكلاً هرمياً للجمل القرآنية . وذلك في قوله تعالى : ((والشمس وضحاها . والقمر إذا تلاها . والنهار إذا جلاها . والليل إذا يغشاها . والسماء وما بناها. والأرض وما طحاها . ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها . قد افلح من زكاها . وقد خاب من دساها)) ([1]).

فالآيات المباركات ، عبارة عن جمل متكررة كل منها قائمة بذاتها مستقلة بمعناها ، تؤدي معنى القسم الذي يحتاج إلى الجواب ويأتي تكرار هذه الجمل لبيان عظمة المقسم به وبالتالي عظمة الخالق وقدرته على خلقه ، وان اختلفت دلالة كل جملة من جمل القسم عن غيرها نلحظ في هذه الآيات لهجة خطابية مباشرة وشديدة موجهة إلى المشركين:

٤ . أسلوب القولِ

في الآية الكريمة الآتية : ((قل يا أيها الكافرون لا اعبد ما تعبدون . ولا انتم عابدون ما اعبد . ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد . لكم دينكم ولي دين)) ([2]) .

في هذه الآية ، لهجة خطابية مباشرة وشديدة موجهة إلى المشركين في أسلوب القول .وقد امتد الخطاب القرآني ، بتكرار جمل القول خمس مرات لكي يأتي جواب القول ، وذلك للتأكيد على فكرة الوحدانية ، ونبذ عبادة الاصنام ، وتقريع المشركين على عبادتها .

وعليه، يكون امتداد الخطاب القرآني، الذي يؤدي إلى امتداد الأساليب وتكرار الجمل وتنوعها وخروجها عن النمط المألوف، يأتي مراعاة لمقتضى الفكرة القرآنية ، وإيصالها بأدق تفاصيلها إلى القارئ أو السامع.

---

[1] . سورة الشمس : الايتان ١. ١٠

[2] . سورة الكافرين : الآيات ٦.١ .

ب . أسلوب تناوب النفس الخطابي في القران الكريم وأثره على الجملة في:

١. أسلوب الانتقال من الخبر إلى الإنشاء

أ . النداء:

في قوله تعالى : ((فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى أني انا الله رب العالمين))([١]) .

نلاحظ تناوب الخطاب القرآني بين أسلوب وآخر في جمل هذه الآية المباركة ، إذ حدث التناوب أو الانقطاع في هذه الآية المباركة بانتقال الصيغة من الإخبار إلى الإنشاء المتمثل بالنداء في قوله تعالى : ((ان يا موسى)) وهذه الآية جاءت في سياق آيات أخرى تسرد حدثا قصصيا ، لذا خضعت الجملة بكل تراكيبها وصيغها إلى التفاعل مع الحدث القصصي ، فهذا الانتقال أو الانقطاع بموضع الأحداث يعطيها بعداً سردياً ، خطابياً يجذب انتباه المتلقي لأهمية الحدث ، ويمنح الصورة القرآنية بعداً خياليا تمثيلياً .

ب . الدعاء

قد ينتقل الخطاب من الخبر إلى الدعاء ، كما في قوله تعالى : ((وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم)) ([٢]) . فقد بنى الخطاب في هذه الآية الكريمة على أساس الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه في الجمل الخبرية ثم حدث انتقال في صيغة الخطاب من الخبر إلى الإنشاء المتمثل بالدعاء في قوله تعالى : ((ربنا تقبل منا)) . وهذا التناوب بين الخبر والإنشاء في الآية له دلالته ، إذ تبرز أهميته في جذب انتباه المتلقي نحو إبراهيم وتخصيص الحديث عنه أولا وتقديمه في المنزلة على ابنه إسماعيل .

٢ . أسلوب الانتقال من صيغة الخطاب من الغائب إلى المخاطب أو العكس:

كما في الانتقال من صيغة جملة إلى أخرى والتناوب فيها بهدف معين ، هو خلق جوانب جديدة في المعنى الأصلي كذلك يحدث هذا في انتقال صيغة الخطاب ، من الغائب إلى المخاطب ، أو العكس ، وذلك في قوله تعالى : ((وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين . يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم)) ([٣]) . فظاهر النص القرآني يوحي للقارئ أول وهلة أن ثمة انقطاع في المعنى ، يتبع الانقطاع أو الانتقال المفاجئ الذي حدث في التركيب ،

---

[١] . سورة القصص : الآية ٣٠ .

[٢] . سورة البقرة : الآية ١٢٧ .

[٣] . سورة المؤمنين : الآيتان ٥٠،٥١ .

فبعد أن كان الخطاب يتجه إلى مريم وابنها ، اتجه إلى الرسل ، إلا أن إمعان النظر في السياق يقودنا إلى أن نعمة الله شملت جميع الرسل ، بما فيهم . مريم وابنها . وهذه الفكرة جمعت خيوط الخطاب القرآني ، وان كان التباين والاختلاف ظاهر على المستوى التركيبي .

نستنتج من هذا كله أن توظيف بناء الجملة في داخل الخطاب ، وعلى هذا الشكل من التناوب ، الذي يخلق صيغاً متنوعة ، قد تكون على شكل قصة متكاملة العناصر ، أو مثلاً أو سجعاً . له أثره على الدلالة القرآنية ، وبيان أثرها في المتلقي .

الخاتمة

بعد هذا العرض للجملة القرآنية وأسلوب الخطاب القرآني الذي ترد فيه ، يتضح إن الجملة القرآنية رفيعة المستوى في التأليف والتعبير فهي تتعدى الحدود المألوفة في البناء اللغوي ، وتتغير فيها العلاقات المعهودة ، وبهذا لا يمكن أن نجعل لها حدودا معينة ، ولا يمكن أن نطلق عليها مصطلحاً خاصاً ، كالجملة الكبيرة ، أو المركبة آو الطويلة ، لأنها أوسع وأرقى من أن يطلق جملة فقط ، فهي في حدود خطاب الهي سماوي يتسع ويختص ويتلون بصيغ مختلفة حسب ما يقتضيه السياق .

ومن مزايا هذا الخطاب الامتداد والتناوب ، إذ أدى امتداد الخطاب القرآني ، إلى امتداد الأساليب وتكرار الجمل وتنوعها وخروجها عن النمط المألوف ، وهذا يأتي مراعاة لمقتضى الفكرة القرآنية وإيصالها بأدق تفاصيلها إلى القارئ أو السامع .

أما تناوب الخطاب القرآني فقد أدى إلى خلق صيغ متنوعة فتكون على شكل قصة متكاملة العناصر ، مما أدى إلى توظيف بناء الجملة في داخل الخطاب ، وكل ذلك له أثره في الدلالة القرآنية وبيان أثرها في المتلقي .

وعليه نستطيع القول أن القرآن الكريم اصطنع له جملة خاصة وتركيبا خاصا يستحق ان نفرد له نحوا خاصا ومصطلحا خاصا هومصطلح الجملة القرآنية .

مظان البحث

. القران الكريم

. الأشباه والنظائر في قواعد وفروع الشافعية : عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) دار إحياء الكتب العربية ، بيروت (د.ت)

. الأصول في النحو : لابن السراج، تحقيق ، عبد الحسين الفتلي ، بغداد ، ١٩٧٣

. أصول النحو العربي : محمد عبد ، دار نهضة مصر ، مصر ، ط٣ ، ١٩٦٦ . تأملات في النحو واللغة : محمد عزيز العبابي ، دار العربية للكتاب ، بيروت ، ١٩٨٠

. تطور الأساليب النثرية : أنيس المقدسي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٠ ١٩٨١

. الخصائص : لأبي الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط٤ ، بغداد ، ١٩٩٠

. دراسات في اللغة والنحو : حسن عون ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٩ . . دلائل الإعجاز : عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت٤٧١هـ) ، تحقيق : محمود محمد شاكر / مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٩٨٤

. الدلالة الزمنية في الجملة العربية : د. علي جابر المنصوري ، مطبعة الجامعة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٤

. الزبيدي في كتابه تاج العروس : هاشم طه شلاش / دار الكتاب للطباعة ، ط١، بغداد ، ١٩٨١

. شرح المفصل : ابن يعيش / عالم الكتب ، بيروت ، مكتبة المغنى ، القاهرة (د.ت)

. علم اللغة العربية (مدخل تاريخي في ضوء التراث . اللغات السامية) : محمود فهمي حجازي ، الكويت ، ١٩٧٣

. . في النحو العربي : تقديم وتوجيه : مهدي المخزومي ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨٦

. الكتاب : عمرو بن عثمان سيبويه (ت١٨٠ هـ) ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار العلم ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٦٦

. الكشاف : جار الله الزمخشري ، محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ،(د.ت) . (

. المصباح (تلخيص القسم الثالث من مفتاح العلوم للسكاكي) ، ابن الناظم (ت٦٨٦هـ) ، مطبعة دار النهضة ، القاهرة ، ١٣٤١هـ

. مغني اللبيب عن كتب الاعاريب : ابن الأنصاري (ت ٧٦١هـ) ، تحقيق : مازن المبارك ، ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٦٤

. مفتاح العلوم : أبو يعقوب يوسف بن ابي بكر السكاكي (ت ٦٣٦هـ) ، المطبعة الأدبية ، القاهرة ، ط١، ١٣١٧هـ

. المقتضب : لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت٣١٠هـ) ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة ، ط١، ١٣٩٩هـ ، والجزء الأول من كتاب المبتدأ والخبر

. المقدمة : عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠١هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٢ . ١٩٧٢.

. من أسرار العربية : إبراهيم أنيس ، دار نهضة مصر بالفجالة ، مصر ، ط١ ، ١٩٥٠

. مناهج البحث في اللغة : تمام حسان ، دار إحياء التراث العربي ، القاهرة ، ١٩٥٥

. النثر الفني في القرن الرابع : زكي مبارك ، دار الجيل ، بيروت ، ط٢، ١٩٧٥

. نحو القران : احمد عبد الستار الجواري : مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ط١ ، ١٩٧٩

. همع الهوامع مع شرح جمع الجوامع : جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي (ت٩١١هـ) ، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٢٧ هـ .

الدوريات

. الجملة الطويلة في القرآن الكريم (بحث) : أ . د : علي ناصر غالب ، جامعة بابل ، كلية التربية .

. الجملة العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة (مقال) : د. نعمة رحيم العزاوي ، مجلة المورد ، مجلد ١٠ ، ع٣ .